التعمق في أساطير الاحتفال بنوروز

■ يعقوب يسنا

يمكننا أن نعتبر أن الاحتفال بنوروز نابع من ثلاثة مفاهيم اسطورية مهمة، وبشكل عام فان هذه المفاهيم الاسطورية معروفة برمتها لدى البشرية، وتعود هذه المفاهيم الثلاثة الى الهوية المشتركة للاساطير البشرية والتي تأخذ بنظر الاعتبار الهوية الثقافية المشتركة للبشر بشكل عام.هذه المفاهيم الاسطورية الثلاث هي: كيف وُجدت الخلقة، والوقت أو الزمن، والزراعة، ونوروز يروي لنا الصورة الرمزية للوحدة بين هذه المفاهيم الاسطورية المهمة الثلاثة، حيث استطاع الانسان أن يعبر عنها بشكل عملي من خلال الاحتفال بنوروز. فنوروز يعد بشكل أو بآخر نوع من تجسيد بداية الخلقة، فالعالم يولد من جديد من رحم الصمت والتوقف الشتوي، وكانت ولا تزال الأجواء الشتوية تُبطئ حركة الحياة، كما أن الأعشاب مكثت في جذورها وبذورها، الى جانب أن بعض الكائنات الحية غطت في السبات الشتوي ووهنت ولم تعد تشعر بشيء.مع حلول نوروز تبدأ الأعشاب بالنمو وتخرج الكائنات الحية من وهنها وضعفها، وتزدهر الحياة من جديد، والأعظم من كل ذلك هو اننا سوف نتمكن من لمس وعيش تجربة الحياة والخلقة من جديد.

مع التوهج والحماس الطبيعي في نوروز يبدأ الانسان يشعر بالاشياء والعالم الذي يتسق معه فيتصور أن الزمن رجع الى البداية، وهي البداية التي ظهرت مع الخلقة وكانت بداية العالم معها، وهذا التصور المتسق مع الذات يجعل الانسان يشعر بأن وجوده أيضا بدأ يزدهر وينمو وبذلك فانه يلمس تجربة الخلقة من جديد، وتجربة الحياة والخلقة من جديد تمنح الانسان امكانية رواية الخلقة، الأمر الذي كان عليه السومريون، حيث أنهم كانوا يحتفلون بنوروز قبل ألفي عام من الميلاد، وهو الاحتفال الذي يبدأ مع بدئ الخلقة.

هذا فيما يتعلق بمفهوم الخلقة والايجاد، أما فيما يتعلق بالزمن والوقت، فإن مفهومه يختلف باختلاف الانسان المعاصر والقديم والاسطوري، فالانسان المعاصر ينظر للزمن على أنه ينبع من تغير وتبدل الأشياء والأمور وهي قضية فيزيائية، بينما الانسان القديم فانه يعتبر الزمن قضية مستقلة عن سائر القضايا والأمور، ويرى أن الانسان والاشياء والأمور تنتهي بانقضاء الوقت والزمن، ومن خلال نظرته هذه للوقت والزمن فانه وضع استراتيجية للزمن والوقت، وهذه الاستراتيجية تمنح الانسان القديم امكانية الحؤول دون انقضاء الزمن والوقت بل اعادته الى ماكان عليه منذ البداية، البداية التي كانت فيها الخلقة، وهنا يتحد الزمن مع الخلقة والايجاد، وبذلك لا يمكن فهم الزمن من دون فهم الخلقة والايجاد كما لا يمكن فهم الخلقة من دون فهم الزمن.

اعادة الزمن الى البداية، يضع الانسان من الناحية النفسية في موقع الخلقة والايجاد، وهذا الموقع وهو مفهوم المكان، يكون الزمن والوقت فيه أزلي، والزمن الأزلي هو الزمن المتوقف ويكون كل شيء متصل ومتعلق فيه أزلي، لهذا فان نوروز هو الصورة الرمزية لعودة الزمن الى بداية الخلقة والايجاد.

مع عودة الزمن الى البداية فان الانسان يزيل عنه وعن الأشياء والأمور قوة انتهاء الزمن، ومع زوال قوة وسلطة الزمن سيشعر الانسان بالبقاء والخلود. أما الانسان المعاصر فانه مرتبط بالزمان والمكان، الزمن الذي يرحل ولا يعود، لذلك ومع الأخذ بنظر الاعتبار رؤية الانسان المعاصر للزمن ورؤية الانسان القديم للزمن يمكن معرفة الفرق بين الانسان المعاصر والاسطوري.

فالانسان الاسطوري لم يكن تاريخيا، بل لم يكن يعرف شيئا اسمه التاريخ، بل كل شيء لديه كان مكررا، بينما الانسان المعاصر انسان تاريخي ويؤمن بالتاريخ، وليس هناك أي شيء في حياته مكرر، وانما كل انسان قائم بذاته، وبالتالي فانه ليس تكرار ونسخة عن غيره أو عن شيء آخر.

منذ أن علم الانسان وأدرك انه بدس البذرة في الأرض، فانها ستخرج من الأرض بعد فترة من بقائها فيها، وتخضّر، وربما اكتشاف هذه الحقيقة في ذلك

الوقت كان يعد انجازعظيم وفي نفس الوقت مفاجئا.

يعتقد المؤرخون وخبراء الاساطير أن اكتشاف الانسان علاقة البذرة بالأرض يعد حدثا عظيما في حياة الانسان الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وذلك لأن الانسان بدأ بالزراعة بعد هذا الاكتشاف، بينما ربطت الزراعة الانسان بموقع جغرافي محدد وخاص في الأرض، واستطاع المرأ أن يبدأ حياته القروية أو المدنية من خلال هذه العلاقة، وبذلك فانه دخل الى مرحلة جديدة من حياته الاجتماعية تختلف عن السابق.

هذه العلاقة بين البذرة والأرض قدمت للانسان فكرة اسطورية، بحيث يمكنه من استيعاب عالمين، العالم العلوي والعالم السفلي، والعالم السفلي هو عالم الأموات، والعالم العلوي هو عالم الموجودات والكائنات المقدسة، وجعل الانسان هذه الفكرة أساسية وقام بتصميم وبناء أفكاره وفقها.

هناك بعض المجتمعات تحرق أمواتها، واحراق الموتى له علاقة باساطير البشر وفكرتهم عن النار، كما أن هناك مجتمعات تدفن موتاها في الأرض، ودفن الموتى في الأرض يرتبط بالفكرة الأسطورية وهي علاقة البذرة مع الأرض، والتي تعني نقل المتوفي الى العالم السفلي، وشأنه شأن البذرة فانه

> **أن الاحتفال بنوروز نابع من ثلاثة مفاهيم اسطورية مهمة، وبشكل عام فان هذه المفاهيم الاسطورية معروفة برمتها لدى البشرية، وتعود هذه المفاهيم الثلاثة الى الهوية المشتركة للاساطير البشرية والتي تأخذ بنظر الاعتبار الهوية الثقافية المشتركة للبشر بشكل عام.**

سيعود بعد فترة، ويمكن أن نتصور العالم السفلي، كأنه رحم المرأة، أو غرفة تحميض الأفلام، ففيهما يتم تجديد قوى المتوفي لكي يعود الى الحياة من جديد.

الاحتفال بنوروز يرتبط بفهم الانسان للعلاقة بين البذرة والتربة أو الأرض، وهذه العلاقة تقع بشكل طبيعي خلال أحد فصول السنة وهو فصل الربيع، والولادة والنمو يمنح الانسان امكانية استيعاب فكرة الخلقة والايجاد، فاذا استوعب وأدرك الخلقة فانه سيستوعب ويدرك الزمن، وهو ليس الزمن الممتد الى ما لانهاية، وانما الزمن المتغير والمكرر، بمعنى آخر انه كلما حل نوروز فان الدورة الزمنية تكتمل وتعود الى البداية حتى تصل الى الخلقة والولادة الأزلية ومن ثم الى النمو.

السؤال المطروح، هو، ما حاجتنا للاحتفال بنوروز ولماذا نقيم الاحتفالات فيه؟

ينبغي القول هنا ان الاحتفال بنوروز يعود الى ثقافتنا، وتاريخنا الثقافي الذي يتبلور ويتجلى بشكل واضح عبر الاحتفال بنوروز، بل اننا أمام مسؤولية ثقافية وانسانية للاحتفال بنوروز وتبجيله.

الى جانب ذلك فاننا نعيش اليوم عصر الماكنة والصناعة والتكنلوجيا ونعيش اجواء الماكنة والتكنلوجيا، وهاتان أبعدتا الانسان عن الطبيعة، أو لنقل، حدث خلل ما في العلاقة بين الانسان والطبيعة، وهذا الخلل أدى الى ضعف العلاقة المباشرة والحية والأصيلة بين الانسان والطبيعة، كما تسبب هذا الخلل أن ينسى الانسان أهمية علاقته بالطبيعة، لذلك وبما ان الاحتفال بنوروز يرتبط بالطبيعة، فان ذلك يمكنه أن يعيد التذكير للانسان بما تم نسيانه، وربما الاحتفال بنوروز يدفع الانسان الى ازالة العراقيل التي تحول بينه وبين الطبيعة وهذا النسيان، كما أن الاحتفال بنوروز يدفع الانسان الى احترام الطبيعة وسائر الكائنات الحية. لذلك فان الاحتفال بنوروز في عصرنا هذا، يمكن أن يعتبر احتفاء بالبيئة والطبيعة.